الإعلام وظاهرة التدخّل الإنساني: طبيعة الدّور وَجدلية التّأثير

د. بوناب كمال، قسم العلوم السياسية
جامعة عنابة ـ الجزائر

المقدمة :

في **18** فيفري **2017** نشر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تغريدة على موقع تويتر، يتحامل فيها على بعض وسائل الإعلام الأمريكية، واصفا إياها بأنها ليست عدوة له فقط، بل هي عدوة لكافة الشعب الأمريكي؛ خطاب ترامب الشعبوي لا ينفي عن الوسائل الإعلامية حجم الأدوار التي أدتها منذ ثمانيات القرن الماضي، والتي كان لها تأثير بالغ على مجرى الأحداث في السياسة العالمية، بدءا من تغطية أحداث ميدان تيانانمين (**The Tiananmen Square**) وصولا إلى الهزّات التي ضربت أقطار الدول الشيوعية، انتهاء إلى سقوط جدار برلين، أما التطور الأبرز على الإطلاق فهو تحول الإعلام إلى فاعل مؤثّر في كشف تجاوزات حقوق الإنسان وما يستدعيه ذلك من دفع القادة نحو التدخل العسكري لحماية المضطهدين؛ بناءً عليه تسائل هذه الورقة البحثية قدرات الإعلام في التأثير على توجهات القادة قبل وأثناء اتخاذ قرارات تتعلق بالتدخل الإنساني سواء بالتحفيز أو الثّني؛ على نحو: إلى أي حدّ يستطيع الإعلام دفع القادة السياسيين أو ثنيهم عن خوض حروب تدخلية باسم إنقاذ الإنسانية والمضطهدين؟

أولا ـ أثر القناة سي. أن. أن ومثلث كلاوسوفيتز:

منذ حرب الخليج الثانية أصبح اسم قناة **CNN** (**Cable News Network**) مرادفا لنقل المعلومات والصورة السريعة على مدى أربعة وعشرين ساعة من موقع الحدث؛ مثّل هذا وعدًا جديدا بزيادة مكانة وحظْوة الرأي العام في السياسة الخارجية، بل إنها امتدت أحيانا لتغيير إستراتيجيات الحرب، حيث يسود اعتقاد قوي بأن صور اللاجئين الأكراد كان لها دور هام في إنشاء الملاذات الآمنة، وفي مقابل ذلك يُعتقد بأن "طريق الموت السريع" (* **Highway of death**)كان دافعا لقرار الولايات المتحدة الأمريكية بإنهاء الحرب، وفي ذلك يقول برنت سكاوكروفت **Brent Scowcroft** (مستشار الأمن القومي الأمريكي آنذاك) " انظر للصور التلفزيونية من 'طريق الموت السريع' سترى مشاهد لحرق

* . نشرت الصحافة البريطانية في مارس 1991 صورة جثة محروقة لجندي عراقي داخل شاحنة عسكرية، وهي الصورة التي التقطت في مكان ما على " طريق الموت السريع" الذي يربط بين البصرة والكويت، وحسب المحكمة الدولية لجرائم الحرب فإن 20000 مركبة حُوصرت على طول الطريق من طرف القوات الجوية الأمريكية، ما أدى إلى موت 25000 عراقي.

وتدمير المعدات جميلة الرسم، أعتقد أن أحد الجوانب المهمة لإنهاء الحرب أننا لا نريد أن نكون مثل الجزارين الذين عقدوا العزم على الانتقام بذبح الناس".161

يُعرّف ستيفن ليفنغستون (**Steven Livingston**) الأثر **CNN** بأنه تأثير ثقل الإعلام العالمي الجديد على الدبلوماسية والسياسة الخارجية، ويصفه بيارز روبنسون (**Piers Robinson**) بأنه ردود الجماهير المحلية والنخب السياسية على الأحداث العالمية التي يتم إرسالها بواسطة تكنولوجيا الاتصال، أمّا جوزيف ناي فيكيّفه على أنه نتاجُ لزيادة حرية تدفق بث المعلومات ودورات الأخبار القصيرة على الرأي العام في المجتمعات الحرة. 162

كان للتدخل الإنساني في العراق، وبعده الصومال، دور في تصعيد النقاش داخل الدوائر الأكاديمية والحكومية، حيث اعتبر بعض خبراء السياسة الخارجية أن تدخل السلطة الرابعة في عملية السياسة تطفّل لا مبرر له؛ جورج كينان، مثلا، رأى بأن القنوات التقليدية لصنع السياسة مُغتصبة بفعل التغطية الإعلامية المكثّفة لمعاناة شعب الصومال، وفي ذلك خشي كينان من أن النخب قد تفقد مراقبة السياسة الخارجية لصالح وسائل الإعلام163، ودافعه في هذا خلفيته الفكرية الواقعية التي تتوجّس من الرأي العام على أساس أن مطالبه آنية، لحظية، مزاجية واستعجالية بعيدة عن الرؤى الإستراتيجية، فقوة الرأي العام العالمي وهمية وعاجزة، وليس في مقدوره ممارسة أي سياسات زجرية تجاه الدول.164

يشير تأثير **CNN** إلى أن تغطية القناة للحدث الأجنبي يجعل الجمهور المشاهد يضع ذلك الحدث في بؤرة اهتماماته، وبالتالي يجبر الحكومة على التدخل واتخاذ القرار الملائم، وعندما تبدأ شبكات أخرى منافسة في محاكاة تجربة **CNN** يتحوّل الموضوع، حتميا، إلى سلسلةٍ من الاهتمامات المحورية

161 - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** New York: Palgrave Macmillan, 1st published, 2007, p, p 3,4.

162 Babak Bahador: **« The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo ».** Op. Cit 4.

163 - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention».** London and New York: Routledge, 1st published, 2002, p10.

164 - Hans Morgenthau: **«Politics among nations: The struggle for power and peace»**. New York: McGraw-Hill Education, 7th edition, 2005., p 279.

للحكومة، فعلى سبيل المثال، أجبرت الإدارتان الأمريكية والبريطانية على الاستجابة للأزمة الصومالية لأن **CNN** لم تُسقطها من التغطية، بينما في السودان، و في وقتٍ ما في رواندا، الحرب الأهلية مشتعلة دون استجابةٍ من أي دولة رئيسية، لأن **CNN** آثرت عدم التركيز على تلك المحنة165، لذلك، وخلافا لـ جورج كينان الواقعي الشاجب لدور وسائل الإعلام في صنع السياسات الخارجية (من باب أنها تنافس أو تقضي على دور النخب)، فإن المزاج الويلسوني**Wilsonian**) (**temperament** أبان عن تقدير متزايد للدور الذي تضطلع به وسائط الإعلام في تعزيز التدخل الغربي، فعلى سبيل المثال، أشاد الدبلوماسي الأمريكي بمنطقة البلقان ريتشارد هولبروك (**Richard Holbrooke**) بمساعدة وسائل الإعلام في استرعاء الانتباه إلى مآسي البوسنة وكوسوفو، كما رحّب أنتوني ليك **Anthony Lake** (مستشار الأمن القومي الأمريكي وبروفيسور في العلوم السياسية) بقدرة وسائل الإعلام تسليطَ الضوء على الأزمات الإنسانية في جميع أنحاء العالم، وفي كلمته سنة **1999** بمناسبة الحرب

ضد صربيا تحدّث توني بلير على أن تجنّب الخطر يقتضي السماح لـ **CNN** بأن تتجوّل مرتديةً مهماز الماشية* **Cattle prod** لإدراك وتبيُّن النزاع العالمي الجدّي، مما يعني، ضمنيا، أنه لا رادع لسلطة وسائل الإعلام في إجبار الحكومات على التدخل، أما من الناحية الأكاديمية، فمنذ المجاعة الإثيوبية سنة **1984**، جرت مناقشات متنوعة حول التأثير المزعوم لوسائل الإعلام على أزمات دول العالم الثالث، ومن أهم الأعمال في هذا الشأن: « **Crosslines global report: Somalia, Rwanda and beyond** »، من تأليف إدوارد جيراردت وَ « **From massacre to genocide** » من تأليف روبرت روتبيرغ وَ توماس وايس. 166

يصرّح نيكولاس ويلر بأن هناك مجموعة من القيود من شأنها أن تحدّ من فاعلية الأثر **CNN**، خصوصا إذا كان هناك تماسُ مع خطوط نشر القوات البرية، كما أن التغطية الإعلامية ليست سببا مباشرا، بصفة دائمة، تحضّ

165 . توماس ل. ماكفيل: " **الإعلام العالمي**". ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص ص 372، 373.

* . المهماز: قطعة حديدية في مؤخر حذاء الفارس أو المروض ينخس بها جنب ما يمتطيه.

166 - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention»**. Op. Cit, p11.

صانعي السياسة على التدخل، بل إنها يمكن أن تكون، أحيانا، غطاء يوفر الدعم العام المحلي الذي يبحث عنه الساسة لانتهاج سياسة تدخلية167، مما يشير إلى أن الرأي العام يمكن أن يكون عرضة للتلاعب السياسي، فبعد انتهاء حرب الخليج الثانية كتب الفيلسوف الفرنسي جان بودريار **Baudrillard(Jean**) أن " حرب الخليج لم تحدث" (**La guerre du Golfe n'a pas eu lieu**) وهي لم تكن شبيهة بحروب التاريخ، مبررا ما عاينه الناس بمشهد استعراضي لنسخة تلفزيونية مصوَّرة أبطالها زعيما القوتين المتناحرتين (جورج بوش الأب وَصدام حسين)، ومعهما عشرات الملايين من المشاهدين يتعرفون من خلال عالم الواقع المفرط (**Hyper Reality**) على ما يحدث في الواقع الحقيقي (**Real time**)، والفكرة هنا أن وسائل الإعلام بانتقالها من مشهد حرب لآخر تُحدّد مثل ما تساهم في تشكيل الرؤية والاستهلاك والمعرفة عن هذه الحرب أو تلك الأزمة، وتهندس الانطباع العام عن الأحكام، الملابسات والأطراف طبقا للإطار الإعلامي الذي أُريد لها أن تندرج ضمنه أو تُروّج من خلاله168؛ ففي حالة كوسوفو تكاتفت وسائل الإعلام، الأوروبية خصوصا، لخلق جو من الشعور بالذنب الجماعي والخجل من خلال التركيز على أن مجزرة سربرينيتشا هي الأسوأ في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وتساءل كثيرون هل يُعقل أن يُذبح ثمانية آلاف شخص في وسط أوروبا، في مكان متاخم نسبيا لحدود الاتحاد الأوروبي وداخل أماكن يفترض أنها مناطق آمنة؟، وبما أن النزاع نشب مع منعطف القرن الواحد والعشرين أظهرت وسائل الإعلام أن القادة السياسيين في الغرب يستشعرون ثقل الوقت وتحذوهم إرادة في دخول القرن الجديد بمجموعة من المبادئ الأخلاقية الطاهرة الخالية من المذابح وأعمال التطهير العرقي؛ إن الثقافة السياسية الغربية كانت هي الوقود الذي اشتغلت عليه وسائل الإعلام لإيقاد ضمائر الأوروبيين وإقناعهم بإنسانية تدخل الناتو في كوسوفو.169

ضمن هذا التوجه، تتأسس المقاربة المعرفية للأثر **CNN** باعتبارها وسيلة

167- Nicholas J. Wheeler: **«Saving strangers: Humanitarian intervention in international society».** Oxford: Oxford university press, 2000, p300.

168- شهيرة بن عبد الله: " **الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة**". مجلة المستقبل العربي، العدد 429، نوفمبر 2014، ص 95.

169- Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 71,72.

للبناء الاجتماعي، تعيد تشكيل أحداث الأزمة، وتُحوّلها إلى معلومات تحتكم في بنيتها وتصوراتها إلى ذهنية اجتماعية، وكان والتر ليبمان (**Walter Lippmann**) أوّل من أوضح، في كتابه "الرأي العام" **1921**، أن عملية جمع الأخبار ونشرها وتفسيرها في وسائل الإعلام يمكن أن تؤثر بشكل كبير في تفسيرات الناس للواقع، وتُغيّر بالتالي أنماط سلوكياتهم تجاهه، واستنتج ليبمان أن طريقة تعامل الصحافة مع نهاية الحرب العالمية الأولى كانت مضلّلة لا تعكس ما يحدث فعلا على أرض الواقع، فالناس احتفلت باتفاق الهدنة يوم **6** نوفمبر **1918** بناء على الصورة الزائفة التي نقلتها الصحافة، دون أن يعلموا بأن آلاف الجنود كانوا يلقون حتفهم على أرض المعارك، وأن الهدنة لم تتم إلا بعد خمسة أيام من تاريخ إعلان الصحافة عنها، فما تقوم به وساط الإعلام في الأصل هو جدولةُ للقضايا والأحداث التي على المتلقي أن يتابعها ويهتم بها، ويحدث وأن تُركّز على مواضيع ومعلومات بعينها، وتنفي أو تهمش أخرى، وفي صلب هذه الجدولة تعمد وسائل الإعلام إلى انتقاء المفردات والمسمّيات الشارحة للمواضيع والقضايا بما يتماشى والخط التحريري لسياسة الوسيلة الإعلامية، وهكذا تكون الأجندة الإعلامية (بما فيها ظاهرة الأثر **CNN**) وسيلة لممارسة السلطة وفرض إدراك جماعي للواقع يخدم مصلحة الأقوى[170].

- يقر بيير بورديو(**Pierre Bourdieu**) بأن قدرة الانتشار الرهيبة التي يملكها التلفزيون قد ألقت بظلالها على الصحافة المكتوبة ومجال الثقافة بشكل عام[171]، إلا أن هذا يبدو ضئيلا مقارنة بما أفرزته التطورات التكنولوجية اللاحقة في مجال الإعلام التواصلي على المعرفة، و يتأكد هذا أكثر مع بلوغ عدد الأجهزة الموصولة بالشبكة العنكبوتية عشرة مليارات، مع توقع صعود الرقم إلى خمسين مليارا سنة **2020**، إذ بات العالم على عتبة " شؤون أنترنتية" (**Internet atters**) بتعبير هنري كيسنجر، إنه عصر يُعرّف فيه النظام العالمي بمعادلة امتلاك الناس قابلية الاطلاع الحر على المعلومات الدولية وتبادلها؛ ذلك كفيل، حسب هذه الأطروحة، بتمكين الطبيعة البشرية التواقة والمندفعة للحرية، غير أن الفلاسفة طالما دأبوا على فصل دائرة

170 - شهيرة بن عبد الله: " **الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة**". مرجع سابق، ص، ص 98، 99.

171 . بيير بورديو: " **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**". ترجمة: درويش الحلوجي، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2004، ص90.

نفوذ العقل إلى ثلاثة قطاعات: المعلومات(**Information**)، المعرفة (**Knowledge**)والحكمة (**Wisdom**) ؛ تستند الشبكة العنكبوتية إلى "المعلومات" التي تَيسّر انتشارها أسّياً، ومع ذلك فإن أي تُخمةِ معلومات قد تعيق، ويا للمفارقة، حيازة المعرفة وتبعد الإنسان أكثر من أي وقت مضى عن بلوغ الحكمة.[172]

يعتبر المفكر العسكري البْروسي كارل فون كلاوسوفيتز في مؤلفه الكلاسيكي "عن الحرب" أن الحرب مفارقة عجيبة تقوم على ثالوث غريب: العواطف الشعبية (**Popular passions**)، الأدوات العملياتية (**Operational instruments**) والأهداف السياسية (**Political objectives**)؛ يتّصل الأول بعامة الناس والثاني بالعسكريين، في حين يرمز الثالث للحكومة؛ يشير هذا الثالوث للهيكل الاجتماعي للحرب (**The social structure of war**)[173]، وفي سياق الحروب والتدخلات العسكرية يلقي الأثر **CNN** بظلاله على مجالات الثالوث الكلاوزوفيتزي (**Clausewitzian trinity**).

أثر **CNN** والرأي العام: يرتبط تزايد أهمية الرأي العام في الحرب بنمو القيم الليبرالية والديمقراطية، وتحديدا بازدهار حجة " مذهب الخلاص بالرأي العام" **The doctrine of salvation by public opinion** "، التي نادى بها جيريمي بنتام وَجون ستيوارت ميل في حين ازدراها إدوارد هاليت كار[174]، أو وفق ما عبّر عنه روسو وَ كانط بأن الحروب يمكن أن تُمنع في حال مشاركة العامة في اتخاذ القرارات، وتُعتبر الثورة الفرنسية نموذجا يحتذى به في امتثال الإدارة لشواغل العامة، في حين ترمز الحرب العالمية الأولى إلى حد تاريخي فاصل يجسد مخاطر تهميش الرأي العام عن السياسة الدولية، فكثير من الباحثين أرجع الأسباب الجذرية لهذه الحرب إلى الدبلوماسية السرية التي لم تعترف بدور المشاورات العامة، وفي ذلك يقول السيناتور الأمريكي جون ماكين " أعتقد أن الحرب العالمية الأولى لم تكن لتستمر ثلاثة أشهر إذا كان عامة الناس يعلمون

[172] . هنري كيسنجر: " **النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ**". ترجمة: فاضل جتكر، بيروت: دار الكتاب العربي، 2015، ص، ص 334، 340، 341.

[173] Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 47.

[174] Ole R. Holsti: **«Public opinion and American foreign policy».** U.S.A: The university of Michigan press, 2004, p14.

ما يدور في الصراع"، فعدم اطلاع العامة على الإعلام يعني أن كثيرا من الفضائع لم تُعرف، أو لم يتم الوقوف على حقائقها، كالإبادة الجماعية التي مست الأرمن في تركيا **1915 ـ 1922** أو موجة القتل بالتجويع (باللغة الأوكرانية) التي عصفت ببقاع شتى في الاتحاد السوفييتي175، وتُقدّم حرب فيتنام مثالا كلاسيكيا على قدرة الرأي العام، من خلال الأثر **CNN**، في قلب معادلة الحملة العسكرية وحتى زيادة احتمال إتلاف الروح المعنوية للجنود، فبدءا من سنة **1963**، ولمدة خمسة سنوات، ظلت الحملة العسكرية الأمريكية متماسكة وسالمة بفعل الدعم اللامتناهي من الجمهور، إلا أنه بعد هجوم تيت (**Tet offensive**) الكاسح سنة **1968**، وتصاعد صور الموت والدمار وقتلى الجيش الأمريكي، تزايدت الأدلة على أن مزاعم الحكومة التفاؤلية مضللة وخادعة، هذا أسهم في خفض معنويات جميع الأمريكيين، مدنيين وعسكريين، الأمر الذي عجّل في نهاية المطاف باتخاذ قرار الانسحاب، وغالبا ما يشار إلى هذا السيناريو باسم "متلازمة فيتنام" **The Vietnam syndrome***.

كانت الصورة والكلمة معيارا ومقياسا رئيسا للحكم على نجاح أو فشل عملية التدخل الإنساني، وذلك يفهم ضمنيا من تصريح بيل كلينتون "لا نريد مزيدا من الصور عن البلقان مثل ما رأيناه في الأيام القليلة الماضية، إنها تذكّرنا حتما بما تتحمله البوسنة من معاناه"176؛ جاء تصريح كلينتون نتيجة ضغوط لطبيعة المفردات التي أُستخدمت في الإعلام، سواء كان مقروءا أو مكتوبا، لوصف السياسة الغربية في البوسنة، أين كانت معظم التعبيرات محرجة ومُنبئة بفشل عملية تدخل الأمم المتحدة: غياب العزم (**Absence of will**)، العجز (**Impotence**)، إذلال تلو الآخر(**One humiliation after another**)، سقيم (**Sickly**) (انظر الجدول رقم**01**)، و تفاعلا مع طرد أكثر من **20000**

---

175 - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 50,51.

* لمزيد من المعلومات راجع:

Geoff Simons: **« Vietnam syndrome: Impact on US foreign policy ».** U.S.A: Macmillan press LTD, 1st published, 1998.

176 - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 136.

من سكان سربرينيتشا بعد المجزرة تحمِل الأرقام دلالات أخرى على إخفاق الغرب وقابلية بعثة الأمم المتحدة للانهيار، فالمفردات الإنسانية المتعاطفة: اللاجئين (**Refugee**)، الأطفال (**Children**)، النساء (**Women**)، كانت أضعاف مفردات المسافة الحيادية: مسلم (**Muslim**)، بوسني(**Bosnian**)، جندي **Soldier**، 177(انظر الجدول رقم **02**).

إطـــــــــــــار الفـــــــــــــشل		إطـــــــــــــار النّـــــــــــــجاح	
الكـــــــــلمة	مرّات التردّد	الكـــــــــلمة	مرّات التردّد
الفـــــــــشل	62	النـــــــــجاح	05
التقـــــــــاعس	107	الحـــــــــماية	56
النـــــــــهاية	11	الاستـــــــــمرار	10
المجـــــــــموع	180	المجمـــــــــوع	71

جدول رقم **01**: التغطية الإعلامية للعلاقة بين الأمم المتحدة والغرب بين **11** و**18** جويلية **1995**

177 - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention».** Op. Cit, p, p 79, 80.

إطار التعاطف		إطار الحياد	
الكلمة	مرات التردد	الكلمة	مرات التردد
لاجئين	**236**	مسلم	**83**
بشر	**148**	بوسني	**29**
نساء	**68**	رجال	**66**
أطفال	**52**	جنود	**15**
مسنين	**13**	مقاتلين	**02**
المجموع	**517**	المجموع	195

جدول رقم**02**: التغطية الإعلامية لترحيل سكان سربرينيتشا بين **11** و**18** جويلية **1995**. مصدر الجدولين:

أثر **CNN** والجيش: اكتسبت العمليات الإستراتيجية العسكرية، بفعل الأثر **CNN**، مزيدا من الزخم اللوجستي، الاجتماعي والتكنولوجي، إلا أنها يمكن كذلك أن تتحول إلى بوابة سلبية تعكس الكثير من الأخطار، وتضع، بالتالي، سياق تنفيذ أو نجاح الخطة العسكرية على المحك، فالمعلومات التي يكشف عنها الأثر **CNN** تصل إلى الجمهور الدولي بما فيه الخصوم؛ وبعض التسريب، ولو كان يبدو للصحفي معلومات عادية، كحجم المعدات والقدرات والقائد المحتمل للحرب، يمكن أن يُفهم كإفادات حساسة تُعرّض الأفراد والعمليات العسكرية للخطر، علاوة على ذلك، ونظرا لتزايد الطابع متعدد القوميات في وسائل الإعلام يُدفع الصحفي الذي ليس من موطن الحرب، وتحت ضغط شدة المنافسة، في أن يكون أول من يحوز ويروي القصة، دون إبداء أي اهتمام بالعواقب التي تنتج عن المعلومات الحساسة.178

رغم هذه المخاوف، تبقى المعلومة ذات أهمية لا غنى عنها في إستراتيجيات الحرب، ولا أدلّ على ذلك من استحداث القوات الأمريكية المشتركة لـ "مذهب العمليات المعلوماتية" **Information operations doctrine** (**IO**) في أوت **1998**، حيث أكد قائد قوات الدفاع الجوي الأمريكية في منتصف التسعينات رونالد فوجلمان أن العمليات المعلوماتية تُمثّل "البعد الخامس لحالات الحرب" " بعد الأبعاد الأربعة التقليدية " البر، البحر، الجو والفضاء"179، وفي ذلك يعمل الأثر **CNN** على التأثير على الخصم وجمع معلومات تكتيكية عنه، والتزام البروباغندا سعيا لتحقيق الأفضلية عليه.

أثر **CNN** والحكومة: عبَّر كل من هانس مورغانتو وَ هنري كيسنجر عن أسفهما تجاه تأثير وسائل الاتصال الحديثة على الدبلوماسية، معتقديْن أنها أفقدتها الكثير من حيويتها، فغالبية وسائل الإعلام

تتعمد المبالغة في إضفاء الطابع الدرامي على الأزمات لتحقيق عوائد

178 - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 52.

179 - Thomas Rid: **«War and media operations: The US military and the press from Vietnam to Iraq».** London and New York: Routledge, 1st published, 2007, p120.

تجارية، ما يتسبّب في تكثيف التوترات وتأجيج الكراهية، وعلى الرغم من ذلك تميل غالبية الحكومات إلى استخدام شبكات إعلامية عابرة للقارات كميزة للمجتمعات الديمقراطية، وعرضها (الشبكات الإعلامية) كأداة قوية في مكافحة الأعداء وكسب تأييد الحكومات غير الضالعة بصورة مباشرة في النزاع، وقد أظهرت حرب الخليج **1991** بعض الأساليب الدبلوماسية الجديدة التي يمكن توظيفها إعلاميا أثناء الحرب، ففي **11** جانفي **1991** ظهر وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر على التلفاز متحدثا إلى الصحفيين وأفراد القوات الجوية الأمريكية بحظيرة الطائرات في المملكة السعودية "أستطيع أن أقول لكم: لن تضطروا للانتظار فترة أطول، حتى لا يكون هناك سوء فهم اسمحوا لي أن أكون واضحا تماما، سنعبر الحافّة ليلة **15** جانفي"، وكانت تقف وراء بيكر طائرة مقاتلة من طراز**F 111** في صورةٍ صارمة تضافرت فيها الثقة، الاستعداد والوعيد، إذ كان بيكر يعي أن الجمهور المستهدف يفرز الأثر **CNN** ضغوطا من نوع جديد تواجه الدبلوماسيين وصناع القرار الذين يتواجدون في وضع اضطراري يدفعهم لتبني سياسة استعجالية استجابة بكلامه ليس أفراد القوات الجوية بل الرئيس صدام حسين، وأوضح بيكر لاحقا " لم تُرسل هذه الرسالة عبر جو ويلسون (دبلوماسي أمريكي في العراق)، لقد قمنا بإرسالها من خلال شبكة **CNN**"؛ سمحت وسائل الإعلام بتوفير نوع جديد من الممارسات والضغوط الدبلوماسية لم يكن متوافرا من قبل، وإن ظل الاعتقاد بأن مجالي الحرب والدبلوماسية منفصلان عن بعضهما، فإن الأثر **CNN** أنشأ رابطا اتصاليا بين البيئتين، وحتى الحركات الراديكالية الانعزالية، مثل طالبان، التي منعت التلفاز عن العامة، عمدت قيادتها إلى تثبيت الهوائيات لرصد تصورات العالم عنها، بل شاركت ببراعة وإسهاب في لعبة الدعاية الإعلامية، وهو ما حذا بالقوى الغربية إلى الرد بتشكيل "مراكز معلومات التحالف" **CICs**، كاستجابات منسقة في واشنطن، لندن وَ إسلام أباد لدحض تصريحات طالبان وإثبات اليد الطولى في الدعاية الإعلامية التي تولاها " فريق الإجابة السريعة". 180

[180] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 54, 55,56.

لمطالب دورات الأخبار على مدار أربعة وعشرون ساعة، يُعرف هذا التطور بـ "الأثر المتسارع" **The accelerant effect** الذي يمكن أن يكون مادة تزيد من الخطأ، سوء الفهم أو سوء الإدراك، فمن المرجح أن الفروق بين الصياغة والتنفيذ ستصبح أكثر تشويشا، وتدفع بالتالي إلى اتّباع تنقيحات تكتيكية، فعلى سبيل المثال، أثناء حرب الخليج وبعد قصف العامرية في **13** فيفري **1991**، وانتشار صور جثث المدنيين على شاشات التلفاز، أُثيرت الشكوك حول ادعاءات التحالف من القصف الدقيق على الأهداف العسكرية، وهو ما دفع، بدرجة كبيرة، إلى تعديل السياسات والأهداف بوسط بغداد.[181]

في سياق التدخل العسكري من الطرف الثالث تتأثر أدوار الإعلام بمختلف المراحل التي يمر بها التدخل أثناء عملية التنفيذ، ويمر بنقاط متباينة (انظر الشكل رقم **01**) تُفضي إلى نتيجة مفادها أن السياسة الخارجية للحكومة هي أهم مجالات التأثير المحتمل على الأثر **CNN**، فخلال **78** يوما من حملة القصف التي قادها الناتو على جمهورية يوغسلافيا الاتحادية عام **1998**، كانت صور اللاجئين والمنكوبين الألبان تستخدم كورقة لتوفير الدعم الدعائي للغرب وتعزيز جهود الحرب، غير أن صور الأخطاء والأضرار الجانبية التي شملت المدنيين الأبرياء أدت إلى تخفيض دعم الحرب.

[181] - Ibid, p,p 61, 62.

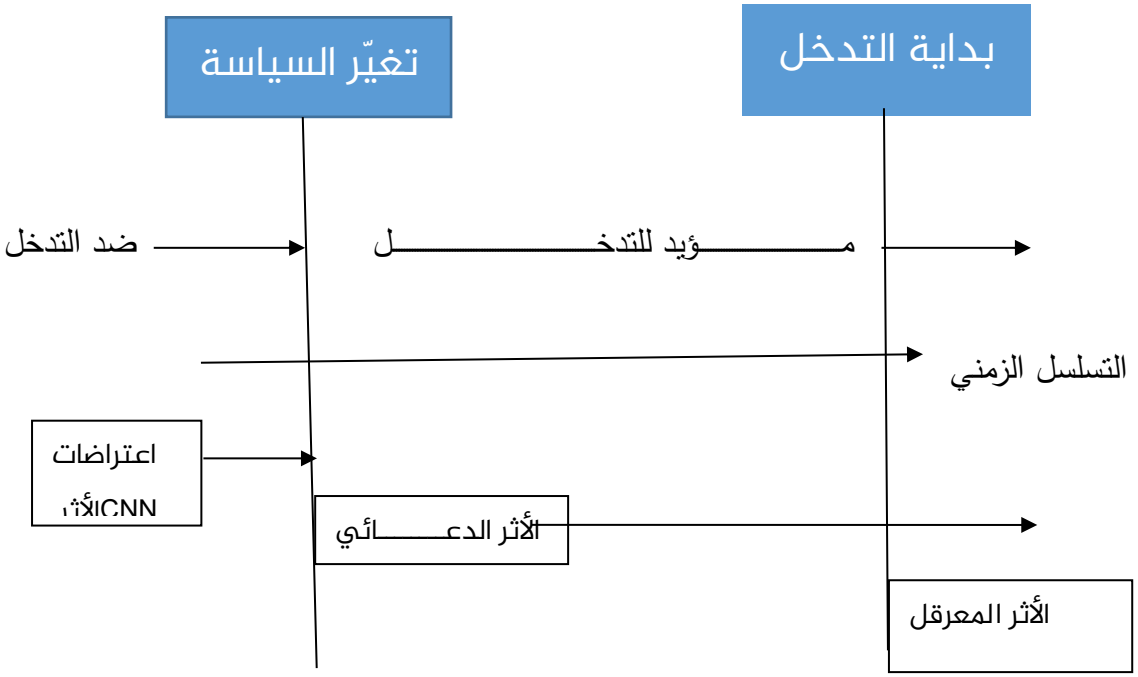

الشكل رقم01: الآثار المختلفة للإعلام في علاقته بتغير سياسة الطرف الثالث المتدخل عسكريا. المصدر:

Babak Bahador: « The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo ». Op. Cit, p 63.

ثانيا ـ الإعلام الأمريكي والتدخل الإنساني: من توافق ألموند ـ ليبمان إلى البروباغندا

تاريخيا، أدّت وسائل الإعلام دور محاسبة ورقابة بالغ الأهمية، ففي سبعينات القرن الماضي نجح الصُّحفيان بوب وودوارد وَ كارل برنستين في كشف الفساد السياسي داخل إدارة نيكسون (فضيحة ووترغايت **Watergate scandal**)، كما اقترن اسم سيمور هيرش بفضح التجاوزات اللا إنسانية للقوت المسلحة الأمريكية (جريمة ماي لاي **My Lai Massacre** في فيتنام، وانتهاكات سجن أبو غريب في العراق)؛ تحملُ هذه الأمثلة في طياتها ما يشار له عادة بـ "صحافة كلب الحراسة" (**Watchdog**

journalism) التي تنشط وفق نموذج السوق الحرة باستقلالية عن السلطة السياسية182، لذلك هناك إجماع على أن الأيديولوجية السياسية والهيكل الحكومي يؤثران بشكل واضح على عملية الاتصال السياسي، فإن كانت وسائل الإعلام في الدول الديمقراطية توسم بـ" السلطة رابعة" التي تجسّد قوة الحماية والرصد، فإنها في النظام السّلطوي ستكون بُوقا يَنشر الدعاية الزعامتية؛ فليس من الغريب أن لا تُقر وسائل الإعلام السوفييتية، في ظل هيمنة الدولة الكاملة على المعلومة، بوجود قوات قتالية في أفغانستان إلا بعد مرور خمس سنوات ونصف، غير أن هذا التمايز النظري سيندثر بمجرد أن يتم استدعاء لحظات تاريخية فارقة تشابهت فيها أدوار وسائل الإعلام سواء في منظومة الدول الديمقراطية أو تلك التي توسم على أنها شمولية، ففي عام **1968** أعلن القادة الأمريكيون عن عملية "الفتنمة" (**Vietnamization**) التي تقضي بتسليم مقاليد السلطة للفيتناميين الجنوبيين، وعلى رغم قناعتهم بالعكس فإن الأمريكيين رأوا في الفتنمة طريقا لتحقيق الاستقرار في المنطقة، وفي حالة الاتحاد السوفييتي فإن "المصالحة الأفغانية" كانت عنوانا يوحي بتوطيد السلطة في البلاد، وكما هو الحال مع الفتنمة فإن المصالحة ستقدم تفسيرا منطقيا لانسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان، الذين باتوا متفهّمين أن حليفهم (الرئيس محمد نجيب الله) قادر على الدفاع عن الأرض بعد إتمام عملية الانسحاب، ورغم أن الصراع في كلتا الحالتين قد سُوّي وأُطّر في المفاوضات الدولية، إلا أنه وبشكل غير متوقع، وفي كلتا الحالتين اهتمت القوتان العظميان بالحفاظ على سمعتهما من وراء هذا الانسحاب، ليس بالتركيز على إقناع الخصوم الدوليين، بل بالتركيز أكثر على إقناع الجماهير المحلية.183

تبدو هذه الأمثلة التاريخية محرجة لما عُرف بـ" توافق ألموند ـ ليبمان"(**The Almond/Lippmann Consensus**) الذي يعتبر مُشرعنا للفرضية الواقعية المستندة إلى أن ترشيد متطلبات السياسة الخارجية لا يمكن أن يتماشى مع تأييد الرأي العام الذي غالبا ما تكون تفضيلاته عاطفية لا

182 - Piers Robinson: **«Media and US foreign policy»**. In: Michael Cox and Doug Stokes (Ed): « US foreign policy ». Oxford: Oxford university press, 2nd edition, 2012, p 161.

183 - Laura Roselle: **«Media and the politics of failure: Great powers, communication strategies, and military defeats».** UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2006, p2.

عقلانية؛ فقد نبّه غابريال ألموند إلى أن "المزاج" (**Mood**) قد يدفع السياسة الخارجية إلى الانعزالية(**Isolationism**)، فبتجميع بيانات استقصائية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية بداية الحرب الباردة يتضح أن معظم الناس يفتقرون إلى معلومات أساسية حول الشؤون الدولية، في حين يبدون اهتماما أكبر بالقضايا التي تمس بشكل مباشر حياتهم اليومية (الصحة، الاقتصاد، الجريمة، العلاقة بين الأعراق)؛ هذه المزاجية، حسب ألموند، لا يمكن أن تكون قائدا جيدا للسياسة الخارجية؛ أما ليبمان فقد كان أكثر هجومية حين أكد أن فرض الناس للفيتو على قرارات واعية ومسؤولة قد جعل الحكومة مضطرة للبحث عن الإجابات الضرورية والأنسب، وكان لهذا تداعيات ظهرت في تأخير، طويل كان أو قصير، لاعتماد السلم مع دعاة السلام، الحرب مع العدوانيين، أو المفاوضات مع المحايدين، المسالمين والعنيدين، فـ " الرأي الجماهيري" اكتسب سلطة متزايدة وقد أثبت خطورته خاصة حين يتعلق الأمر بقرارات مصيرية تتعلق برهانات الموت والحياة.[184]

في ما يتّصل بتأييد توافق ألموند ـ ليبمان، أجرى برنارد كوهين سنة **1973** مقابلات مع مسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية تبيّن من خلالها أن مصلحة الرأي العام شبه منعدمة، كما توصّلت الدراسة إلى أن أي محاولة من المسؤولين لتثقيف الرأي العام بشأن القضايا الدولية ستجعل السياسة الخارجية موضع خطر، وفي ذات السياق أجرى كل من وارن ميلر وَ دونالد ستوكس دراسة على توجهات مجلس النواب سنة **1963**، وكانت النتيجة أن غالبية النواب يراعون في مواقفهم القضايا المحلية أكثر من القضايا الدولية؛ غير أنه وبعد نهاية الحرب الباردة ظهرت مسوحات جديدة ابتعدت عن المسألة الكلاسيكية المتعلقة بتأثير الرأي العام محاولةً تقديم فحص أفضل لتأثير الجمهور على الحروب، خصوصا أن هناك مكنونات تاريخية تثبت وجود علاقة بين الرأي العام والتدخل العسكري من عدمه (المثال السابق عن الانسحاب الأمريكي والسوفييتي من فيتنام وأفغانستان على التوالي)، وهذا في ظل توافر معطيات وخصائص جديدة تتعلق بالرأي العام نفسه، النظام

[184] - Helene Dieck: **«The influence of public opinion on post – cold war US military interventions»**. UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2015, p, p 20,22, 23.

السياسي، شخصية الرئيس وَ الأزمات الدولية.185

يندرج توافق ألموند ـ ليبمان في إطار ما يسميه بيارز روبنسون بـ "نموذج الصفوة" الذي يحصر السياسة الخارجية ضمن فئات ضيقة تشمل رسميي الشؤون الخارجية ومراكز البحوث والتفكير وَممثلي المصالح التجارية الكبرى، وتبدو افتراضات هذا النموذج غير متوافقة مع القناعات الفكرية لـ "النموذج التعددي" الذي يؤمن بأن القوة موزعة بما فيه الكفاية على كافة شرائح و ممثلي المجتمع، بحيث لا تستطيع أي مجموعة أن تستأثر بالمصالح والنقاشات العامة دون غيرها، وبين النموذجين تبرز أطروحة "صناعة الموافقة" (**Manufacturing consent**) لكل من الألسني نوعام تشومسكي وَالاقتصادي إدوارد هرمان والتي تركز على "الدعاية النظامية"186 أين تتاح للرسائل الحكومية والمصالح الخاصة المسيطِرة فرصة تنقية المعلومات بما يسع لها أن تمسّ الجمهور وتهمّش الشقاق والخروج من الصف187.

يعتقد تشومسكي أن قادة الولايات المتحدة قد التزموا السيطرة على العقل العام، مدفوعين في ذلك بنجاحات لجنة كريل* **Creel Committee** أو إنجازات التخويف من الشيوعية (الذعر الأحمر**The Red Scare**)، فمن المهم بمكان تحفيز الرأي العام لتأييد "مغامرات" السياسة الخارجية"، ومن الضروري تزييف التاريخ وأحيانا القيام بالتمثيل وكأنه حقيقة188؛ ذلك ما يسميه جون ميرشايمر بـ " الكذب في السياسة الدولية" فالاستماتة لكسب الحرب وإنقاذ مواطني طرف معين في حرب استفزاز طويلة ومكلفة للأرواح تتسبب في أن يَستهدف المحاربون مواطنين في دول عدوة لهم، ما جعل من الدول الديمقراطية أكثر استهدافا للمدنيين في الحروب من الدول غير

185 - Ibid, p, p24, 25.

186 - Piers Robinson: **«Media and US foreign policy»**. Op. Cit, p, p 162, 168, 172.

187 . ماثياس ريمون: " **مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟**". في: برتراند بادي ودومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم 2017". ترجمة: نصير مروّة، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط1، 2016، ص 239.

* . لجنة الإعلام الأمني أو لجنة كريل: نسبة إلى جورج كريل George Creel، وهي لجنة دعاية حكومية أنشئت أثناء إدارة وودرو ويلسون بهدف تحويل المزاج الأمريكي المسالم إلى معادي لألمانيا ومتعطش لخوض الحرب ضدها وإنقاذ العالم. انظر:

Robert L. Heath and W. Timothy Coombs: **« Today's public relations: An introduction »**. U.S.A: Sage publications, 2006, p 56.

188 . نوعام تشومسكي: " **السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا**". ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003، ص، ص 13، 17، 19.

الديمقراطية؛ يكفي فقط الاستشهاد بأن الولايات المتحدة قتلت **900000** من المدنيين اليابانيين عن سابق تصميم، رغم ذلك لا يتوان القادة في القبول بالمعايير الأخلاقية التي تعطي أوصافا مقبولة لسلوك الدولة؛ عادة ما ترتبط هذه المعايير بشكل وثيق بنظرية الحرب العادلة189؛ يشرح الفيلسوف البريطاني رالف ميليباند أن "الطبقة القيادية" في المجتمع الرأسمالي هي التي تملك وتتحكم بوسائل الإنتاج، وهي القادرة بفضل سلطتها الاقتصادية، التي تحوزها تبعا لهذا التملّك، أن تستخدم الدولة كأداة سيطرة على المجتمع، فمن ركام مقبرة تيميشوارا **Timisoara** (رومانيا) إلى إبادة أهل كوسوفو، مرورا بحرب الخليج الأولى أو التدخل الغربي الأخير في ليبيا، كانت وسائل الإعلام الكبرى تردد بشكل أبدي صدى الدعاية الحكومية190، لذلك ليس غريبا أن تتحرك الآلة الدعائية الأمريكية لتبرير التدخلات الإنسانية رغم الانتقائية الواضحة في هذه التدخلات؛ فقد روّج مايكل ماندلباوم إلى أن التدخلات الأمريكية في حقبة ما بعد الحرب الباردة لم تكن بدافع الذهب، المجد أو الحسابات الإستراتيجية، بل كانت نتيجة تعاطف مع صور مُذاعة لجوعى في شمال العراق، الصومال وَالبوسنة، فالرغبة في إطعامهؤلاء كانت هي من دفعت بالجيش الأمريكي إلى ثلاث مناطق نائية بالعالم.191

الخاتمة:

الإعلام أداةُ حربية؛ وآليةُ مستجدّة لنصب الفخاخ والكمائن، ففي معاركٍ تنطوي على تأثير محتمل للأثر **CNN** قد يكون هناك جذبُ متعمّد للخصوم ووضعهم في موقع غير مُواتٍ، ما يُسهم في دفع الخصم إلى ارتكاب أعمال قد تزيد من تشويه صورته؛ فعلى عكس الحروب السابقة باتت الجيوش اليوم حذرةً من ارتكاب أعمال ضارة وغير إنسانية أمام عدسات الكاميرات.

إنّ الأهمية القصوى للإعلام في التأثير على ظاهرة التدخلات الإنسانية هي أنها تجعل الحروب أقل دموية ومنسجمة مع مبادئ الحرب، وأمّا على المدى الطويل فهي تراهن على

189 . جون ميرشايمر: " **لماذا يكذب القادة والزعماء: حقيقة الكذب في السياسة الدولية**". ترجمة: عبد الفتاح عمورة، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص ص 131، 132.

190 . ماثياس ريمون: " **مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟**". مرجع سابق، ص 239.

191 - Piers Robinson: **«Media and US foreign policy»**. Op. Cit, p166 .

تخفيض وحشية وقمع العداء الإنساني المتأصل.

يوصف الاتّصال على أنّه صمّام التفاعل بين البشر والإعلام؛ هذا الأخير يمكنه أن يولّد العداوة بقدر ما يُمكنه أن ينمّي الصّداقة، وصحفي الحرب المتمكّن هو ذلك الباحث عن الحقيقة، المؤمن بمضامين العدالة؛ ليس المقصود هنا أن يتحوّل الصحفي إلى مناضل للسّلام، بل تكمن مهمّته في فتح آفاق جديدة تُخرج المجتمع من منطق العنف وتهيئ الرأي العام لمنطق بديل، وتساعد العاملين على احتواء النزاعات في مهامهم؛ فالدّال على الخير كفاعله.

إن التّوصية الرئيسية التي تستند عليها هذه الورقة البحثية هو ضرورة انتهاج "إعلام السلام"؛ فدائمًا هناك خطر كامنٌ للعنف والحروب؛ يستمد، هذا الخطر، جذوره من نزاع عالق ينتظر حلًّا، ومن شأن استمرارية النزاع أن تُفضي إلى سلسلة من الأعمال الانتقامية؛ خصوصًا في ظلّ إشكاليات تطرحها أكثر من **2000** قومية تسعى كلها للحصوص على وضع الدولة ـ الوطنية في عالم لا يتّسع إلا لما يزيد قليلا عن **200** منها؛ إن هذه التحديات الجسيمة تستوجب على الإعلام توفير روح إبداعية ليكون قادرًا على مواجهتها.

قائمة المراجع:

أ ـ باللغة العربية:

ـ توماس ل. ماكفيل: " الإعلام العالمي". ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط**1**، **2012**.

ـ جون ميرشايمر: " لماذا يكذب القادة والزعماء: حقيقة الكذب في السياسة الدولية". ترجمة: عبد الفتاح عمورة، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط**1**، **2016**.

ـ نوعام تشومسكي: " السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا". ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط**1**، **2003**.

ـ ماثياس ريمون: " مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟". في: برتراند بادي ودومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم **2017**". ترجمة: نصير مروّة، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط**1**، **2016**.

ـ بيير بورديو: " التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول". ترجمة: درويش الحلوجي، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2004.

ـ هنري كيسنجر: " النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ". ترجمة: فاضل جتكر، بيروت: دار الكتاب العربي، 2015.

ـ شهيرة بن عبد الله: " الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة". مجلة المستقبل العربي، العدد 429، نوفمبر 2014.

ب ـ باللغة الأجنبية:

- **Robert L. Heath and W. Timothy Coombs: « Today's public relations: An introduction ». U.S.A: Sage publications, 2006.**
- **Babak Bahador: « The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo ». New York: Palgrave Macmillan, 1st published, 2007.**
- **Helene Dieck: «The influence of public opinion on post – cold war US military interventions». UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2015.**
- **Laura Roselle: «Media and the politics of failure: Great powers, communication strategies, and military defeats». UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2006.**
- **Piers Robinson: «Media and US foreign policy». In: Michael Cox and Doug Stokes (Ed): « US foreign policy ». Oxford: Oxford university press, 2nd edition, 2012.**
- **Piers Robinson: « The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention ». London and New York: Routledge, 1st published, 2002**
- **Thomas Rid: «War and media operations: The US military and the press from**

Vietnam to Iraq». London and New York: Routledge, 1st published, 2007.

- Geoff Simons: « Vietnam syndrome: Impact on US foreign policy ». U.S.A: Macmillan press LTD, 1st published, 1998.
- Ole R. Holsti: « Public opinion and American foreign policy ». U.S.A: The university of Michigan press, 2004.
- Nicholas J. Wheeler: « Saving strangers: Humanitarian intervention in international society ». Oxford: Oxford university press, 2000.
- Hans Morgenthau: « Politics among nations: The struggle for power and peace ». New York: McGraw-Hill Education, 7th edition, 2005.